ما قلت اكثره بعد عودتي الى بغداد .

ولما كانت غايتي من هـذا الديوان جمع ما وقع عليه اختياري من قصيدي وقد اسقطت كثيرا مما يربط البيت باخيه لم يبق في اكثرها الاطراد المطلوب ففصلت بين قسم وآخر من القصيدة بخط تنبيها على ان هناك ابياتا قد حذفتها . وعسى ان لايلتبس مثل هذا بالفواصل الطبيعية منها .

بغداد : في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ جميل صدقي الزهاوي

ساعة في سدة الهندية

Une heure au Barrage de Hindyeh.

استدعت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٩ م المهندس الانكليزي المعروف بالسير وليم ويلكوكس لاقامة سد محكم على الفرات بالقرب من قصبة المسيب ليمنع المياه الوفيرة من الانحدار نحو الجنوب من دون ان تستفيد منهـا مزارع الفرات الاوسط فائدة تذكر . ويكون « الناظم » هو الحكم في توزيع المياه على المزارع والمدن القائمة على ضفتيه توزيعا عادلا يدر على الزارع والفـلاح افضل الخيرات والبركات .

وقد اضطرت الحكومة البائدة الى استدعاء المهندس المشار اليه للقيـام بهذا العمل الخطير على اثر انهيـار السد الذي اقامه في عرض النهر المذكور المهندس الافرنسي المسيو شندرفر عام ١٨٨٥ م ، عندما بدأ الفرات يتحول عن مجراه الطبيعي فيتدفق بغزارة في شط الهندية من دون ان يأخذ جدول الحلة منه قسطه الوافر . والذي يطلع على خارطة العراق وانهاره ، ويلم بمواقع قدنه ومزارعه يدرك — بلا ريب — حاجة المزارع الواقعة على نهر الحلة الى ميـاه غزيرة دائمة حتى لايعروه القحط فيستحوذ على سكانه كما استحوذ عليهم عام ١٨٧٨ م . فلهذا السبب مست الحـاجة الى وضع « ناظم » لماء الفرات واصبح ذلك الشغل

الشاغل لا لاهالي الفرات فحسب بل لساسة العراق وحكومة الاستانة من ورائهم.

زرت سدة الهندية غير مرة فلم أقض فيها وقتا كافيا لدرس طرق توزيع المياه وتعبير السفن وترتيب المناوبة كالوقت الذي صرفته هناك في بحر كانون الاول من سنة ١٩٢٧ فقد بقيت هناك مدة طويلة استطعت فيها ان اقف على ملاحظات دقيقة لا اعتقد ان قراء لغة العرب الزاهرة في غنى عنها.

«اقيم سد السر وليم ويلكوكس على اثر انهدام سد المسيو شندرفر الافرنسي فوق ارض تبعد نحو الف متر عن السد القديم وهو اعظم بناء شيدته يد البشر في بلاد الرافدين حتى الان. والواقف عليه اليوم يدهش دهشا عند رويته ضخامة ذلك الاثر وهندسته وتبويبه والطرق الفنية المتخذة لرفع الابواب لتوزيع المياه وتعبير السفن وغير ذلك مما يدهش العقول: طول السد اكثر من ٢٥٠ مترا وعرضه بين الطوارين ٤ امتار وعدد الابواب التي فيه ٣٦ وعرض كل منها ٥ امتار وهذه الابواب من المعدن وتنزل انزالا كما ينزل السيف في القراب. واقربتها من الاهين «الحديد المصبوب» وتنزل فيها بواسطة آلات خصوصية تقام على الاطورة «التيغ» من جهة صدر النهر تسمى مرافع «جمع مرفعة» ويكون ارتفاع منبسط الماء الذي يمر خلال هذا السد ٦ امتار في وقت الفيضان ويدفع ٢٦٠٠ متر مكعب في الثانية وعرض كل عمود من عمد هذا السد متر ونصف وطوله عند قاعدته ١٣ مترا والسد كله مبني بالطابوق وبالملاط «الشمنتو» ولقد صنع له اكثر من ١٢ مليون آجرة واتخذت الاسس من اللباط والملاط ولم يستعمل فيه من الحجارة إلا حجارة هيت وذلك لتقوية بعض المنحدرات منه وعلى الجانب الايسر من السد درقتان متتاليتان عرض كل منهما ٨ امتار وطولها ٥٠ مترا لتتمكن السفن من العبور من جانب السد الى الجانب الاخر منه»(١).

وطرق عبور السفن من جانب الى آخر مدهشة وخطرة لان الماء الذي في جهة السد اليمنى يعلو الماء الذي في الجهة اليسرى باكثر من خمسة امتار احيانا

(١) اوفدت ادارة هذه المجلة مندوبا خاصا لمشاهدة اعمال هذا السد عام ١٩١٣م فوصفه وقد نقلنا بعضه ووضعناه بين قوسين (راجع لغة العرب ٣: ٩٤) الكاتب

ولهذا تراهم يفتحون ابواب الدرقة اليمنى فتمتلىء ماء حتى يوازي سطح النهر في الجهة اليمنى فتدخل السفينة في الدرقة وتنزل ابوابهـا ثم تفتح ابواب الدرقة اليسرى فتخرج المياه منها وتنخفض حتى تكون موازية لسطح النهر من الجهة اليسرى فتخرج السفينة عندئذ سالمة من كل خطر . ولكنها قـد تنقلب احيانا فتتضرر وذلك في موسم الطغيان عند ما تكون المياه عزيرة وقوية لا تقوى ابواب الدرقتين على مقاومتها .

تفتح جميع ابواب السد — وعددها ستة وثلاثون كما اسلفنا — في موسم الطغيان فتجري المياه في مجاريها الطبيعية وتشترك جميع الانهار في الاستفادة منها . اما في موسم الصيهود « اي وقت نقصان المياه » فتسد الابواب باجمعها وتوزع المياه على البـلاد والانهر بطرق المراشنة « المناوبة » . وهـذه الطريقة وان الحقت انواع الاضرار الصحية والمعنوية بسكان الفرات الاوسط . ولا سيما باهل الحلة والديوانية في ايام الصيف وايام المناوبة إلّا انها تفيد المزارع فوائد جزيلة . فعوضا من ان تكون المياه نصيب المزارع الواقعة على شط الهندية الكبير فقط . تجد جميع مزارع الفرات وبلدانها تستفيد بهذه الطريقة فائدة واحدة مقسمة بينها تقسيما عادلا فنيا . ولو ان الحكومة العراقية الرشيدة عملت بجميع التوصيات الفنية التي اوصى بهـا السير وليم ويلكوكس المهندس الانكليزي البارع وأقامت السدود على دجلة في «سامراء» وفي « بلد » وعلى صدر الفرات قبالة مدينة الكوت وعلى « قرمة علي » لحصلت على موارد زراعية عظيمة ربما عوضت عن جميع النفقات اللازمة لانشاء هذه السدود في مدة لا تزيد على اربعـة اعوام وبذلك تتخلص من الضائقة الاقتصادية التي لا تزال رازحة تحت اثقالها لان البلاد بلاد زراعية وليست فيها موارد اقتصادية شريفة وعظيمة غير زراعتهـا فاذا لم تستثمر الحكومة هذا المنبت الحيوي فلا فائدة اقتصادية ترجى لهـذه المملكة واذا قال غاندي ان استقلال الهند قائم على المغازل ؛ فنحن نقول ان مدنية العراق المقبلة منوطة بالمحاريث والمناجل وكفى بهذا الاعتبار فخرا .

بغداد السيد عبدالرزاق الحسني